مثال للتكامل المعرفي بين العلوم

AL Mouhkam of Ibn Sydah (d. 458 AH)

An example of cognitive integration between sciences

أ/.د. عبد القادر: سلامي

PhD. Abdelkader SELLAMI

كلية الآداب -جامعة تلمسان - الجزائر

skaderaminanes@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/03/10 تاريخ القبول: 2021/05/15 تاريخ النشر: 2021/07/10

ملخص:

روى ابن سيده(ت 458هـ) المُرسي الأندلسي عن نفسه، مشيداً بثقافته المنطقية ، وتضلّعه من اللغة و علومها، حين قال: " إنّي أجد عِلم اللغة أقلّ بضائعي، و أيسر صنائعي إذا أضفته لما أنا به من علم حقيق النحو، و حُوشي العروض، و خفي القافية، و تصوير الأشكال المنطقية، و النّظر في سائر العلوم الجدلية "، فوجدتني مدفوعا إلى اختيار ما اخترته من موضوع ورقتي البحثية، لأزيد من نصاعة تلك الحقائق بما يهيئه التوسع في دراسة الجوانب اللغوية عنده، و التعرف على منهجه في الأداء اللغوي التي رام فيه التكامل المعرفي بين العلوم.

الكلمات المفتاحيّة: ابن سيده، المجكم، تكامل، المعرفة، العلوم.

Abstract:

Ibn Sayyidah Al-Andalusi, proud of his logical culture, and its delusion of language and its sciences, said when he said: “I find linguistics less my commodity, and easier my craftsmanship if I add it to what I am in of a true science of grammar, and my loneliness of performances, and hidden rhymes, and the depiction of figures Logic, and consideration of all dialectical sciences ",and you found me motivated to choose what I chose from the topic of my research paper, to increase the eminence of those facts, in a way that would prepare him to expand the study of his linguistic aspects, and to identify his approach to linguistic performance that aimed at cognitive integration between the sciences.

Keywords: Ibn Sayyidah, Al Mouhkam, integration, knowledge, sciences.

المؤلف المرسل: د. عبد القادر سلامي الإيميل: skaderaminanes@gmail.com

ترجمة ابن سيده : هو أبو الحسن عليّ بن سيده المرسي الأندلسي. عاش حياته التي بلغت ستين سنة (458-398هـ) كفيفاً لأب كفيف. عرف بقوّة ذاكرته، وحدّة مزاجه، وقلّة تلاميذه، وكثرة حلّه وترحاله. قضى نحبه بـ" دانيّة" بالأندلس بعد أن خلّفاً آثاراً لغوية ومعجمية و أدبية، يعدّ " المحكم "و" المخصّص"و" شرح مشكل شعر المتنبي "من أهمّها.

- معاجم الألفاظ وموقع المحكم منها

وتسمى في عرف ابن سيده بالمجنّسة1(ابن سيده المرسي، المخصص، 1317-1321هـ، ج1، صفحة 10) و يُدَلُّ بها على مظنّة الكلمة المطلوبة . و هذا النّوع من المعاجم يفيدنا مبدئياً في الكشف عن لفظ من الألفاظ نجهل معناه كلّ الجهل، أو نعرفه بشكل غامض و نودّ أن نعرفه بشكل دقيق. (الطرابلسي، 1373 ه-1953م، صفحة 10) و مثال ذلك ما أورده ابن فارس من أنّ الباء و اللاّم و الهاء أصل واحد، و هو شبهُ الغَرَارَة و الغَفْلة . قال الخليل و غيره: البَلَهُ ضَعْف العقْل، قال رسول الله ε :(أكثَرُ أهْلِ الجَنَّة البُلْهُ) يريد الأكياس في أمر الآخرة البُلْهَ في أمر الدّنيا. قال الزِّبرقان بن بدر:"خيرُ أوْلادنِا الأبْلَهُ العَقُولُ" بمعنى أنّه لشدّة حيائه كالأبْلَهِ ، و هو عَقُولٌ . ويقالُ شبابٌ أبْلَهٌ لِمَا فيه من الغَرارَة وعيشُ الأبْلَه قليلُ الهُمُومِ . قال رؤبة: (ابن فارس، 1414هـ/1993م، الصفحات 291-292، مادة"بله")

*بَعْدَ غُدَانِيِّ الشَّبابِ الأبْلَهِ *

وكانت بداية التأليف في هذا النّوع من المعاجم مع الخليل بن أحمد الفراهيدي 2 (نصار، 1968، صفحة 218) الذي اعتمد في كتابه "العين" الترتيب حسب مخارج الأصوات، مبتدئاً بالأبعَد في الحلق ومنتهياً بما يخرج من الشفتين. وبعد أن اهتدى إلى هذا النّظام المبتكر، و عمد على دراسته صوتياً، استقام له ترتيب الحروف على النّحو التالي : 3 (الفراهيدي، 1967، ج1، الصفحات 51-52)

ع،ح،هـ،خ،غ(حلقية)،ق،ك(لهوية)،ج،ش،ض(شجْرية)،ص،س،ز(أسلية)،ط،د،ت(نطعية)، ظ،ذ،ث(لثوية)،ر،ل،ن(ذلقية)،ف،ب،م(شفوية)،و،ي،ا،ء(هوائية).

و مهما يكن من أمر، فإنّ تأثير كتاب العين كان بالغاً في المعاجم التي ألّفت بعده إنْ ترتيباً و إنْ مادة، فسار على نهجه، من حيث الترتيب الصوتي مع مراعاة التقاليب والأبنية، عدد من اللغويين القدامى وألّفوا معاجم حذت حذوه و هي : (نصار، 1968، الصفحات 217-372)

- البارع في اللغة لأبي عليّ القالي (ت356هـ) .4
2- تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري (ت370هـ) .5
3- المحيط في اللغة للصّاحب ابن عبّاد (ت 385 هـ) .6
4- المحكم و المحيط الأعظم في اللغة لأبي الحسن علي بن سيده (ت458 هـ) .7

و صنّفت هذه الكتب ضمن المدرسة المعجمية الأولى، و هي مدرسة الخليل.

3-**منهج المحكم في عرض المادة المعجمية:**

أخذ ابن سيده منهج الخليل بعد ما أدخله أبو بكر الزبيدي عليه من إصلاح في مختصره، و سر عليه دون أدنى تغيير. فاعتمد طريقة ترتيب الحروف وفقا لمخارجها بدءا من الأبعد و انتهاء بالأقرب، فكان ترتيبه كالتالي : (ع ح ـ ه ـ خ ـ غ ـ ق ـ ك ـ ج ـ ش ـ ض ـ ص ـ س ـ ز ـ ط ـ ت ـ د ـ ظ ـ ذ ـ ث ـ ر ـ ل ـ ن ـ ف ـ ب ـ م ـ ء ـ ى ـ و ـ ا).

ومن ثم بدأ كتابه بكتاب العين، و يضم كتاب العين كل المواد اللغوية التي تكون العين من حروفها، سواء أكانت حرفها الأول أم الأوسط أم الأخير .

ويضم كتاب الحاء جميع المواد اللغوية التي تشتمل على الحاء، في أي مكان منها، بشرط ألا تكون قد وردت في كتاب العين السابق، و هكذا في بقية الكتب.

وصنّف بعد الخليل عدد من المعاجم اتّبع أصحابها منهج الخليل في كتابه العين على الجملة مع محاولة التعديل والتغيير بعض الشيء داخل الأبواب التي ضمّتها تحت كل كتاب. و قد أفاد صاحب المحكم من هذه المعاجم التي اتّبعت ترتيب الخليل و أضافت إليه . كالبارع لأبي علي القالي، و التهذيب لأبي منصور الأزهري، والمحيط للصاحب بن عباد ، و مختصر العين للزبيدي. (ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، 1421هـ-2000م، ج1، صفحة 4).

وتجدر الإشارة إلى أنّ ابن سيده أفادَ من جميع التغييرات والتطورات التي حدثت قبله، و التزم ما رآه أحسنها وأدقّها. فقسّم كلّ كتاب إلى الأبواب التالية: الثنائي المضاعف الصحيح، ثم الثلاثي الصحيح، ثم الثنائي المضاعف المعتل، ثم الثلاثي المعتل، ثم الثلاثي اللفيف، ثم الرباعي، ثم الخماسي.

وقد أخذ ابن سيده هذا التقسيم كلّه من الزبيدي، الذي اتبعه في مختصره للعين، ثم زاد عليه بابا ذكره في مواضع قليلة نادرة، و دعاه مرة السداسي،و أخرى الملحق بالسداسي، ووضع فيه ألفاظا أعجمية و أسماء أصوات.8

ثمّ رتّب المؤلف الموادّ في داخل الأبواب، وفقا لما تتألف منه من حروف، وَوفقا لما تتصرف إليه ، وتتقلّب فيه من وجوه أو تقاليب. فبدأ كتاب العين مثلا بباب الثنائي المضاعف، و بدأ هذا الباب بالعين حين تتّصل بالحاء، فوجدهما لا يأتيان في كلمة عربية ثنائية مضاعفة، فانتقل إلى العين مع الحاء، فوجد (عه) و مقلوبها (هع) ثم انتقل إلى العين مع الخاء فوجد (خع) ولم يجد مقلوبها (عخ)، ثم انتقل إلى العين مع القاف، فوجد (عق) و مقلوبها (قع). وهكذا فرض عليه منهجه أن ينتقل بالعين إلى بقية الحروف، على الترتيب الذي ذكرناه و حث كل حرف يتركّب معها، و جميع الصور التي تقع في هذا التركيب. (ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، 1421هـ-2000م، ج1، صفحة 5)

وكذا فعل في بقية الأبواب، فقد بحث في باب الثلاثي الصحيح العين، هل تتألف مع الحرف الذي يليها و هو الحاء، و معهما حرف ثالث، فلم يجد . فانتقل بالعين إلى الحرف الذي يلي الحاء و هو الهاء، فوجد أنهما اقترنا معا . فسار بهما معًا إلى الحرف الذي يليهما و هو الخاء، فوجد أنهما لا يأتيان معه . فانتقل إلى الحرف الذي يليه و هو الغين، فوجد أنهما لا يأتيان معه. فانتقل بهما إلى القاف، فوجد أنّ اللغة تشتمل على ألفاظ من هذا الثلاثي، هي (عَهَقَ) و مقلوبه (هَقَعَ) ، فعالجهما، و لم يجد بقية التقاليب الممكنة، و هي (عقهَ، هعقَ، قعهَ، قهعَ) فأهملها. ثم انتقل بالعين و الهاء إلى الحرف الذي يلي القاف، و هو الكاف، فوجد اللغة تحتوي على ألفاظ مؤلفة منها، و هي (هكع)، و لكنه لم يجد لها أيّ مقلوب. و هكذا انتقل بالعين و الهاء حتى أتى على جميع الحروف الصحيحة، ثم أهمل الحروف المعتلّة، لأنّ موضعها في باب الثلاثي المعتل. و انتقل إلى العين مع الحرف الذي يلي الهاء ، و هو الخاء، و بحث عنهما مركبين مع القاف، فالكاف، فالجيم ...ثم بحث عن العين مع الغين مقتَرنَين بالقاف فالكاف فالجيم...و هلمّ جرّا في بقيّة الحروف، و بقية الأبواب. و هذا الترتيب كلّه موجود تفاصيله في مختصر العين للزّبيدي . (ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، 1421هـ-2000م، ج1، الصفحات 5-6)

و يجدرُ بنا أن نُوجّهَ النظرَ إلى أنّ أبواب الثنائي المضاعف : الصحيح منها و المعتل، تختلف عن بقيّةِ الأبواب قليلا، إذ لم يملأها المؤلف بالمقلوبات و حدها، بل جعل فيها أقساما خاصّة بالثنائي المخفّف، مثل مِنْ و صَهْ، و بالمضاعف الفاء و اللام، مثل: كَعْك و هِيه، و بالمضاعف الفاء و العين مثل هَوْهاء، إلى جانب نثره للمضاعف الرباعي فيها. و هذا التقسيم متّبع أيضا في مختصر العين للزبيدي. (ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، 1421هـ-2000م، ج1، صفحة 6)

لقد التقط ابن سيده منهجه المحكم، الذي يعدّ أدقّ منهج التزمته المعاجم التي سارت وفق كتاب العين للخليل من مختصر العين للزبيدي وأحسن تطبيقه في معجمه الكبير بعد أن كان مطبّقا على معجم المختصر وتطلّع ابن سيده إلى جانب الترتيب و التقسيم اللذين سبق توضيحهما، إلى منهج آخر جدير بالإعجاب كلّه، أراد تطبيقه على المواد التي أدخلها في معجمه. و فصّل القول في مقدّمته عن هذا المنهج و تفاصيله. حيث يقوم هذا الأخير على ثلاث شعب: حذف أمور، و تنبيه على أمور،و تمييز بين أمور متشابهة. (ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، 1421هـ-2000م، ج1، صفحة 6)

أمّا الحذف فللمشتقات القياسية، لاطرادها، والأمور التي تُفهم من سياق العبارة، قال المؤلف في كتابه: "ومن طريف اختصاره، ورائق بديع نظم تِقصاره: أنى ذكرت مِفْعَلا لم أذكر " مِفْعالا " لعلمي أنّ كل مِفعل مقصور عن مِفعال، على ما ذهب إليه الخليل. و لذلك صحّت العين من مِفعل إذا كانت واوا أو ياء، نحو مِجْوَب و مِخْيَط، لأنهما في نية مِجْواب و مخياط. و منه أني لا أذكر (افعالّ) إذا ذكرت (افعلّ) من الألوان ، لأنّ كلّ (افعلّ) عند سيبويه من الألوان محذوفة من (افعالّ) إيثار التخفيف.

ومنه أني إذا ذكرت فُعَلِلاً أو فَعَلِلاً لم أذكر " فُعالِلا " و لا " فَعالِل " نحو عُلَبِط و جَنَدَل، و ذلك لأنّ كل " فُعَلِل " مقصور من " فُعَالل "، و كل " فَعَلِل " مقصور عن " فَعَالل "، لأنه ليس من كلامهم التقاء أربع متحركات وضعا، إلا بعد توسّط الحذف ..." (ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، 1421هـ-2000م، ج1، صفحة 43)
و أمّا التنبيه على أمور فمن أمثلته:
قوله في المقدمة: " ومن أغرب ما تضمنه هذا الكتاب أن يكون الاسم يُكسَّر على بناء من أبنية أدنى العدد أو أكثره، لا يتجاوزه إلى غيره، فإذا جاء مثل هذا، قلنا: إنه لا يكسّر على غير ذلك، و ذلك نحو الأفئدة، و الأذرع، و الأكُفّ، و الأقدام، و الأرجل، فإنه لا يكسر واحد من هذه عند سيبويه، على غير هذه الأبنية الدالة على أدنى العدد و إن عُنِي به الكثير .
ومنه التنبيه على شاذ النسب، و الجمع، و التصغير، و المصادر، و الأفعال، و الإمالة، والأبنية، والتصاريف و الإدغام... (ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، 1421هـ-2000م، ج1، صفحة 41)
و قال المؤلف عن تمييز المشتبهات: " و من غريب ما تضمّنه هذا الكتاب، تمييز أسماء الجموع من الجموع، والتنبيه على الجمع المركّب، و هو الذي يسمّيه النحويون جمع الجمع، فإنّ اللغويين جمّا لا يميزون الجمع من اسم الجمع، و لا ينبهون على جمع الجمع...." (ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، 1421هـ-2000م، ج1، صفحة 39)
وقد أخذ المصنّف على نفسه في مقدمة كتابه أن يلتزم الاختصار و تنظيم المادة، و تقريب التأليف، و تهذيب التصنيف حيث يقول: " إنّ كتابنا هذا مشفوع المِثل بالمثل، مقترن الشكل بالشكل، لا يفصل بينهما غريب، ولا أجنبيّ بعيد و لا قريب، مهذّب الفصول، مرتّب الفروع بعد الأصول،.. هذا إلى ما تحلّى به من التهذيب والتقريب والإشباع و الاتساع، والإيجاز و الاختصار ، مع السلامة من التّكرار ، و المحافظة على جمع المعاني الكثيرة، في الألفاظ اليسيرة..." (ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، 1421هـ-2000م، ج1، صفحة 37)
واستناداً إلى كلّ ما تقدّم توضيحه و شرحه، يمكننا القول: إنّ محكم ابن سيده يعدّ أحسن المعاجم التي التزمت منهج الخليل في العين، من حيث ترتيب مواده، و وجازة تعبيراته و ألفاظه، و من حيث ما اشتمل عليه من علوم النحو و الصرف و العروض و غير ذلك، حيث ظهرت براعة المؤلف واضحة في تلك العلوم.
ويكون المحكم بذلك قد خطا بمنهج المعاجم العربية خطوة إلى الأمام، وهي محاولة تنظيم داخل المواد. و كنه فيما عدا ذلك كان متأخّرا عن المعاجم المشرقية. فقد سار في ترتيبه على نهج الخليل و الزبيدي كما سبقت الإشارة إلى ذلك وكان المشارقة قد وصلوا إلى ترتيب آخر أسهل هو ترتيب الجوهري، و اعتمد في مواده على الخليل وابن دريد والقالي و بعض أصحاب الرسائل الأخرى، وكان المشارقة وصلوا منذ القرن الرابع إلى الموسوعات الكبيرة مثل التهذيب و المحيط، بل نقد بعضهم مواد الخليل و ابن دريد نقدا مرا مثل الأزهري وابن فارس. و إذن فما قدمه ابن سيده حركة المعاجم هو محاولة تنظيم داخل المواد وحده، و تهذيب ترتيب الخليل باتّباع مختصر العين، واعتماده على بارع القالي الذي فُقدَ و لم يره

كثير من المشارقة، و اعتماده على علمي الصرف و النحو في كثير من أحكامه . (نصار، 1968، صفحة 302)

- مصادره في المحكم :

رمى ابن سيده في المحكم إلى جميع ألفاظ اللغة العربة وترتيبها في صورة معجم للألفاظ، وقسمها على كتب تبعا لمخارجها الصوتية 8 وفق حروفها الأصلية التي تتألف منها ما يتفرغ عنها من مقلوبات في أبواب هي: الثنائي المضاعف الصحيح الثلاثي الصحيح، والثنائي المضاعف المثل ، والثلاثي المعتل، والثلاثي اللفيف ،والرباعي، فالخماسي، وزاد على ذلك بابا لا يذكره إلا نادرا دهاه السداسي ضم ألفاظا أعجميه (اين سيده المرسي، 1421هـ2000م، ج4، صفحة 355) و هو مذهب لا يوافقه عليه الصرفين إذ يعدون الخماسي أقصي ما ينتهي إليه بناء الكلمة العربية في عدة أصولها المجردة. (ابن عصفور، 1432هـ/2011م، صفحة 70، 163)

و لما كانت الألفاظ مدارا بحث ابن سيده وتأليفه في المحكم، فقد تناولها من قبل اشتقاقها وتصرفيها ومعناها فذكر ما يدل عليه اللفظ من معنى أو معان، وبن اشتقاقه حين يكون داع لذلك، ثم يذكر ما يتصرف عليه من صيغ وأبنية في مختلف أحوال تصريفه بضبط ألفاظ العربية وتفسيرها ،وتوضيح مجالات استخداماتها كتاب العين للخليل (ت 175هـ) و كتابي " إصلاح المنطق والقلب والإبدال " لابن السكيت والفصيح والمجالس لثعلب و الجمهرة لابن دريد، وشرح كتاب سبيويه للسيرافي ، والخصائص لابن جني وغيرها من الكتب التي ضمت مجموعة متنوعة من أصول الرواية اللغوية ككتب أبي زيد والأنصاري، والأصمعي، وأبي عبيد الهروي، و أبي حنيفة الدينوري. (ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، 1421هـ-2000م، ج1، صفحة 15)وسنتناول بعضها بشيء من التفصيل.

-1 - العين للخليل(ت 175هـ) :

حرص ابن سيده على إثبات هذا الكتاب صمن قائمة مصادره في المحكم، فوسمه بالعين وذكر أنه صمن معجمه ما صح لديه منه، و أخذه بالوثيقة عنه. (ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، 1421هـ-2000م، ج1، صفحة 15)ومن ثم إلى توزيع أغلب ما جاء فيه من صيغ وما انطوت عليه من دلالات، على أبوابه المختلفة، دون أن ينسبها إلى قائل بعينه العلماء أمثال ابن جني . (ابن جني، دت، ج3، صفحة 197) فنسبه إلى صاحب العين، مما حدا بأحد الدارسين المحدثين إلى القول: إن ابن سيده كان يبد وأقرب إلى الثقة بالكتاب، وإن لم يقطع بنسبته إلى الخليل. و للأمانة نقول: إن ابن سيده، وإن بدا قريب الثقة بكتاب العين كما تدل على ذلك كثرة نقوله من هذا المصنف على نحو ما

سنراه، فأنه لم يكن يقطع كذلك بصحة تصنيفه، ومن ثم نسبته بهذه الصورة المختلّة إلى الخليل.10 و النماذج التالية من يقول ابن سيده من كتاب العين توضح ما ذهبنا إليه

المحكم:
مقلوب العين والميم والهاء (أ) - قال ابن جني: أما عُيَاهِمْ، فحاكيه صاحب العين و هو مجهول. (ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، 1421هـ-2000م، ج1، صفحة 68) العين والجيم والباء (ب) - و قال صاحب العين بَيْنَ العَجيب والعُجَاب فَرْقٌ، أما العَجيب فالعَجَبُ يكون مثله، وأما العُجَاب فالذي يُجاوز حدَّ العَجَب" (ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، 1421هـ-2000م، ج1، صفحة 205) مقلوب العين والقاف والذال (ج) - ماءٌ زُعَاقٌ : كَزُعَاق . قال صاحب العين: سمعنا ذلك من عربي ولا أدري ألُغة أم لُثْغَة ؟ "و ذَعَق به ذَقْعًا صاحَ، كَزَعَق" (ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، 1421هـ-2000م، ج1، صفحة 155) مقلوب العين والكاف والسين (د) - " الكَعْس : عظم السُّلاَمى . والجمع كِعَاسٌ . و كذلك هي من الشاء و غيرها. و قيل: هي عظام البَراجِم من الأصابع " (ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، 1421هـ-2000م، ج1، صفحة 155) العين و الضاد (ه) - " الضَّعْضَعَةُ: الخُضُوع والتذلّل . وقد ضَعْضَعَهُ الأمر ، فتَضَعْضَعَ ، قال أبو ذؤيب " (ديوان الهذليين، 1965، ج1، صفحة 3) وتَجلُّدِي للشَّامِتِين أُرِيهِمُو أنّي لِرَيْبِ الدَّهْرِ لا أتَضَعْضَعُ .11 و في الحديث : ما تَضَعْضَعَ امرُؤ لآخر، يريد به عَرَض الدّنيا إلا ذهب ثُلُثَا دِينِه. (ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، 1421هـ-2000م، ج1، صفحة 29) العين والخاء والتاء (و) - " خَتَع الدّليل بالقوم يَخْتَعُ خَتْعًا، وخُتُوعًا : سار بهم تحت الظّلمة على القَصْدِ " (ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، 1421هـ-2000م، ج1، صفحة 73) " و الخَتْعَةُ : النَّمِرَةُ الأنثى " " والخَتِيعة : هَنَةٌ من أديم،12 يُغْشى بها الإبْهَام لِرَمْي السِّهَام "
كتاب العين
(عمه) (أ) - " و قال بعضهم : ...وعُيَاهِم ، مثل عُذَافِر" (الفراهيدي، 1967، ج1، صفحة 127) باب العين والجيم والباء (ب) - قال الخليل : بينهما فَرْق . و أمّا العَجِيبُ فالعَجَب، و أما العُجَاب فالذي يجاور حدّ

العَجَب " (الفراهيدي، 1967، ج1، صفحة 271)
(ذعق)
(ج) - " الذُّعاق بمنزلة الزُّعاق ، قال الخليل: سمعناه فلا نَدْري ألُغة هي أمْ لُثْغَة " (الفراهيدي، 1967، ج1، صفحة 18)
(كعس)
(د) - الكَعْسُ : " عِظَام السُّلاَمي ، و جمعه كِعَاسٌ، وهي أيضا عِظام البَراجِم من الأصابع، و في الشاء أيضا وغيرها." (الفراهيدي، 1967، ج1، صفحة 216)
(ضع)
(ه) - الضَّعْضَعَةُ : الخُضُوعُ و التَّذَلّل، و ضَعْضَعَهُ الهَمُّ فَتَضَعْضَعَ .
قال أبو ذؤيب :
و تَجَلُّدي للشَّامِتِين أُرِيهِمْ أنِّي لِرَيْبِ الدَّهْرِ لا أَتَضَعْضَعُ .13
وفي الحديث: ما تَضَعْضَعَ امروٌ لآخر يريد بهِ عَرَض الدّنيا، إلاّ ذهب ثُلُثَا دِينِهِ، يعني خَضَع و ذلَّ " (الفراهيدي، 1967، ج1، صفحة 84)
(ختع)
(و) - الخُتُوعُ : رُكُوبُ الظُّلمةِ، و المُضِيّ فيها على القَصْد بالليل كما يَخْتَع الدليل بالقوم تحت الليل" (الفراهيدي، 1967، ج1، صفحة 133)
" والخَتْعَة: النَّمِرَة : الأُنثى . و الخَتِيعَةُ : شئٌ يُتَّخَذ من الأُدْمِ 14 يُغَشَّى بها الإِبْهامُ لرمي السِّهام "

ففي المثال الأوّل، لم ير ابن سيده في لفظ " عُيَاهِم " صيغة مألوفة في مقلوبات العين والهاء فعمد إلى تحقيقه في كتاب العين فلم يوفّق إلى مدلول له، فعدل عنه إلى كتاب الخصائص فلم يجد له نظيرا فكان إلى تعريف ابن جني أميل.

و في المثال الثاني، بدا ابن سيده حريصا على ما نقل ما جاء في كتاب العين نقلا أمينا كاملا، فنسب ما جاء في هذا المصنف إلى الخليل.

أما في المثال الثالث، فقد نسب ابن سيده لفظ " الذّعاق " و مثله " الزّعاق " إلى نفسه موهمًا القارئ أنّ ذلك من تحرّياتِهِ الشّخصية، و إن كنّا لا نعطيه حقه في تصريف الفعل " ذَعَقَ " في الماضي وبيان المصدر منه وتوضيح مدلوله..

أما في سائر الأمثلة الأخرى، فلا يكاد يغير من عباراتها الأصلية شيئا، اللهم إلا ما تصرّف فيه بالحذف أحيانا كإسقاطه كلمتي " ذلَّ وَخَضَعَ " في تفسيره الحديث الشريف، أو باستبدال كلمة بأخرى نحو إيراده كلمة " شيء " بذل كلمة " هَنَة " و " الأمر " بدل " الهم "، أو بالتقديم و التأخير كما في المثال الرابع، وتلخصت إضافاته في زيادة فعل " ختع " و مضارعه في المثال السادس.

4-2– إصلاح المنطق لابن السكيت(ت 244هـ) :

أراد ابن السكيت بهذا الكتاب أن يعالج داء اللحن الذي كان قد استشرى في لغة العرب، و ضمنه أبوابا أمكن بها ضبط جمهرة من لغة العرب، و ذالك بذكر الألفاظ المتفقة في الوزن الواحد مع اختلاف المعنى، أو المختلفة مع اتفاق المعنى، و ما في لغتان أو أكثر ، و ما جاء مثنى ما هو لقب و ليس باسم، يضاف إلى ذالك قدر صالح من الأشعار، والأمثلة والأقوال المأثورة وغيرها. ويبدو أنّ ابن سيده قد وجد في هدا الكتاب ما يشفي غليله اللغوي، فأكثر من الاقتباس منه على نحو يجعل لابن السكيت حُضُورا ظاهرًا في المحكم . و فيما يلي بيان ذلك :

المحكم
(العين و الضاد) (أ) ـ " قال ابن السكيت في المَنْطِقِ : بَعِيرٌ عاضٌ : إذا كان يأكل العِضّ ، وهو في معنى عَضِهٍ، والعِضُّ: من العِضاه ، يقال: بنوا فلان مُعِضُّون، أي ترعى إبلهم العِضَّ " (ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، 1421هـ-2000م، ج1، صفحة 29) العين و القاف واللام (مقلوبه : قلع) (ب) ـ " القَلْعَانِ من بني نُمَير : صَلاَءة و شُرَيح ابنا عمرو بن خُوَيْلِقَةَ " (ابن سيده المرسي، المخصص، 1317-1321هـ، ج1، صفحة 206) العين والجيم والباء (ج) – " العَجَب والعَجْب: ما انضم عليه الوَرِك من الذَّنَب، و قيل: هو أصل الذَّنَب كلّه " (ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، 1421هـ-2000م، ج1، صفحة 206) العين و الكاف و الراء (د) ـ و رَجُلٌ عَكَّار في الحرب : عطّاف كَرَّار. و العَكَرة : أصل اللسان كالعَكَدَة وجميعها عَكَر . (ابن سيده المرسي، المخصص، 1317-1321هـ، ج1، صفحة 161) العين و الضاد و الراء، مقلوبه (عرض) (ه) ـ العَرَض: ما نيل من الدّنيا، يقال : الدنيا عَرَض حاضِر، يأكل منها: البَرُّ و الفاجر " (ابن سيده المرسي، المخصص، 1317-1321هـ، ج1، صفحة 244) العين و الصاد و الباء (و) – وعَصَبَ الرّيقُ بفيه، يَعْصِب عَصْبا جفّ عليه . قال ابن أحمر:15 (عطوان، دت، صفحة 152) يُصَلّيّ على من مات منّا عريفنا و يقرأ حتى يَعْصِبَ الرّيقُ بالفم16 (ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، 1421هـ-2000م، ج1، صفحة 281)

إصلاح المنطق
باب آخر من فعيلة (أ) - وبَعير عاضٌّ يرعى العِضَّ، و هو في معنى عَضِّه . والعِضّ هو العِضَاهُ. يقال: بنو فلان مُعِضُّون، أي ترعى إبلهم العِضَّ " (ابن السكيت، 1956، صفحة 365) و مما جاء مثنى ما هو لقب و ليس باسم (ب) – و القُلْعَان من بنى نُمَيْر : صَلاَءة و شُرَيْح ابنا عمرو بن خُوَيْلِقَة. (ابن السكيت، 1956، صفحة 405) باب فَعْلٍ و فَعَلٍ باختلاف معنى (ج) – و العَجْب: أصلُ الذَّنَب، والعَجَب: مصدر عَجِبْت " (ابن السكيت، 1956، صفحة 38) (د)- و يقال: إنّ فلانا لعَكَّار ٌفي الحروب، أي عطّاف كَرّار" (ابن السكيت، 1956، صفحة 41) و العَكَرَة و العَكَدَة: أصل اللسان ". (ابن السكيت، 1956، صفحة 41) (ه) - يقال للدنيا: عَرَض حاضر، يأكل منها البَرُّ و الفَاجِر. (ابن السكيت، 1956، صفحة 72) (و) - العَصَب: مصدر عَصَب الرّيقُ بفيه يَعْصِب عَصْبا، إذا يبِسَ، و قد عَصَب فاهُ الريّقُ . قال ابن أحمر: * حَتىَّ يَعْصِبَ الرِّيقُ بالفَمِ (ابن السكيت، 1956، صفحة 39)

عزا ابن سيده، في المثال الأوّل، ما نقله من الإصلاح إلى ابن السكيت معزّزا نسبته بذكر الكتاب الذي استقى منه مادّته، في حين أغفل ذلك في باقي الأمثلة التي قلّما تصرّف في عباراتها الأصلية على نحو يجعل لابن السكيت حضورًا ظاهرًا في مصنفه، الأمر الذي لا يحملنا على الاعتقاد بأنّ ابن سيده لم يكن يتدخل عند اللزوم . فقد رأيناه يختلف مع ابن السكيت في نظرته إلى لفظي : العَجَب و العَجْب ". فابن سيده يرى في هذين اللفظين معنى واحدا بينما يرى فيهما ابن السكيت لفظين مختلفين لمعنيين مختلفين. كما أنّ ابن سيده يرى في دلالتهما على أصل الذّنَب قولا ضعيفا، و الأفضل عنده أن يدلاّ على " ما انضمّ عليه الوَرِك من الذَّنَب ".

و من إضافاته، والتي لا تتعدى حدود زيادة تعريف لم يجد كبير عناء في استلهامه من سياق قول لابن السكيت، قوله: العَرَض: ما نيل من الدّنيا "، أو إتمامه بيتاً بإضافة صدره إلى عجزه كما يتبين لنا من المثالين الخامس والسادس.

4-3- مجالس ثعلب (291هـ):

اشتملت مجالس ثعلب على ضروب شتى من علوم العربية. فبالإضافة إلى ما ضمّته من مسائل نحوية على مذهبي الكوفيين والبصريين، نجد في تضاعيفها قدرا صالحا من القرآن الكريم، و الحديث الشريف، و الأشعار المختارة، وأقوال اللغويي . و ثعلب في كل ذلك مفسر و مجادل جيد، ملأ نفس ابن سيده إيمانا بصحة ما وجد فيه من رواية صادقة، فأكثر من الإحالة على أقواله إحالات صريحة بالنسبة إلا فيما ندر . و فيما يلي نماذج من الأمثلة التوضيحية:

المحكم
العين والكاف (أ) - قال ثعلب: " يوم عكٌّ أكٌّ: إذا كان شديد الحرّ ، مع لَثَقٍ واحتباس ريحٍ، حكاه في أشياء إتباعية، فلا أدري: أذهب بأكّ إلى الإتباع، أم ذهب إلى أنه شديد الحر، و أنه يُفْصَل من علكّ كما حكاه أبو عبيد " (ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، 1421هـ-2000م، ج1، صفحة 23) العين و الكاف و الميم مقلوبه (كعم) و المُكَاعَمَةُ : مُضَاجَعةُ الرّجل صاحبه في الثوب الواحد، و هو منه، و قد نُهِيَ عنه ." (ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، 1421هـ-2000م، ج1، صفحة 172) العين و الكاف و الميم: مقلوبه (كمع) (ب) - و الكَمِعُ، والكَمِيعُ : الضَّجِيع . وفي الحديث: نُهِيَ عن المُكَامَعَة و المُكَاعَمَة " فالمُكَامَعَة: أن ينام الرجل مع الرجل، أو المرأة مع المرأة في إزارٍ واحدٍ، تماسُّ جلودُهما ، لا حاجز بَيْنهُما (ابن الأثير، دت، ج4، صفحة 200) وقد تقدّم في تفسير المُكَاعَمَة" (ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، 1421هـ-2000م، ج1، صفحة 173) العين و الشين و الراء (ج) –و قال ثعلب: العِشَارُ من الإبل: التي قد أتى عليها من حمْلِها عشرة أشهر، و به فُسِّر قوله تعالى: ﴿ إِذَا العِشَارُ عُطِّلَتْ﴾[سورة التكوير: الآية: 3] (ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، 1421هـ-2000م، ج1، صفحة 22) مجالس ثعلب (أ) - " و يقال: يومٌ عَكٌّ أكٌّ إذا كان شديد الحرّ مع لَثَقٍ واحتباس ريحٍ " (ثغلب، 1956-1957، ج1، صفحة 248) (ب) - " و في الخبر : نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن المُكَامَعَة و المكاعَمَة " قال : المُكاعَمَة: أن يقبّل الرّجل الرّجل على فمه، و المُكَامَعَة: المضاجعة، أن يضاجع الرّجلُ الرّجلَ. و الكَميعُ: الضَّجيعُ " (ثغلب، 1956-1957، ج1، صفحة 172) (ج) - و سئل أبو العباس عن قوله عز و جل ﴿ وَ إِذَا العِشَارُ عُطِّلَتْ ﴾ قال : العِشَارُ: أي التي أتى على حملها عشرة أشهر، فجاءت القيامة فعُطّلت لم تُنْتِج، تركها أهلها و قد دنا خَيْرها، و هي أَنفُس ما عندهم إذ قد دنا ولادُها" (ثغلب، 1956-1957، ج1، صفحة 216)

استهل ابن سيده مثاله الأول بعبارة " قال ثعلب " أورد بعدها مثالا لاتصال العين بالكاف في باب الثنائي المضاعف، فنقل ما وجده موفورًا في المجالس من أنّ : " عكّ أكّ : للحرّ الشديد مع لَثَقٍ و احتباس ريح "، غير أنه تنبّه إلى مسألة هامة طالما فصّل فيها القول في " باب الإتباع من المخصص " فتساءل في حيرة من أمره، أيكون ثعلب قد حمل " أكّ " على الإتباع، أم اقتفى أثر أبي عبيد في حملها على التوكيد ؟ و يبدو مما سبق أن ابن سيده كان حريصا على مناقشة ثعلب في هذا الأمر على الرغم من أنه يشاطره الرأي. فقد ذكر ابن سيده أن هذا ممّا " حكاه ثعلب في أشياء إتباعية " ، و هو مذهب ابن سيده". (ابن سيده المرسي، المخصص، 1317-1321هـ، ج13، صفحة 36)

و يبدو أن ابن سيده في المثال الثاني ، قد وجد مجالا لمناقشة ثعلب و معارضته فذهب إلى أنّ " المُكَاعمَة " من الكِعْمِ جمع : كِعَام، و هو وعاء تُوعى فيه السّلاح و غيرها " (ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، 1421هـ-2000م، ج1، صفحة 239) فهي عنده " مضاجعة الرَّجُل صاحبه في ثوب واحد وقد نهي عنه " فهو بذلك يخالف ثعلبا الذي ذهب بها إلى الكّعْم و معناها : تقبيل الرّجلِ الرّجلَ على فمه " ولسنا ندري ما وجه الخطأ في تعريف ثعلب، و سرّ عدول ابن سيده عن الأخذ به ؟ فما ضرّه لو أخذ بتعريف ثعلب وزاد عليه، ما دامت لغة العرب تزخر بألفاظ متّفقة في الوزن مختلفة في المعنى، و قد كشفت لنا معاجم الألفاظ عن فحواها، فقد جاء اللسان:

"و المُكَاعَمَة: هو أن يَلْثُمَ الرّجل صاحبه و يضع فمه كالتّقبيل، أُخِذَ من كَعْم البعير فجعل النبي صلى الله عليه وسلم : لثمه إياه بمنزله الكِعَام، و المُكَاعَمَة: مفاعلة منه . (ابن منظور، 1414هـ/1994م، ج12، صفحة 111، مادم"كعم") " والمُكَاعَمَة: مضاجعة الرّجل صاحبه في الثّوب، و هو منه (من الكِعْم) قد نهي عنه. (ابن الأثير، دت، ج4، صفحة 180، 200)

أمّا المُكَامَعَة ، فلا يكاد يختلف حولها الرجلان. فابن سيده ينقل عن ثعلب اللفظ ومعناه العام الذي وضع له. فقد رأى في " المضاجعة " نتيجة يصل إليها الرّجل إذا نام مع صاحبه، أو امرأة مع صاحبتها في إزار واحد تماس جلودهما لا حاجز بينهما. وعلى هذا، فالمُكَامَعَة عنده أكثر تخصيصا من المكاعمة، و هو بذلك يلتقي مع ثعلب في أن كليهما منهي عنه. وقد عزا ابن سيده إلى ثعلب تعريفا آخر للفظ قصد إلى اثباتة في باب العين والشين والراء " وهو لفظ " العشار " فلم يكتف بنقل الصيغة ومدلوها من المجالس بل تعدها إلى نقل الشاهد القرآني الذي فسره على ضوء التعريف السابق ضارباً صفحاً عن تأويل تعلب الذي رأى فيه رجما بالغيب، وحسنا فعل.

4-4 - جمهرة اللغة لابن دريد (321هـ):

جعل ابن سيده من كتاب الجمهرة عمادا له في تحقيق بعض الألفاظ ودلالاتها من حيث كثرة دورانها أو قلّته في لغة العرب، و لم يصرّح أبن بنسبة كل ما نقله عن ابن دريد. فقد كان يحيل إليه في أغلب الأحيان، و يغفل ذلك أحيانا، و في هذا غمط لحقوق ابن دريد اللغوية. و لنا في النماذج التالية ما يوضح ذلك:

المحكم
(العين و الجيم) (أ) - " العُجَّة: دقيق يُعْجَن بسمنٍ ثم يُشْوى، قال ابن دريد: العُجَّة : ضَرْبٌ من الطعام، لا أدري ما حدّها ؟ " (ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، 1421هـ-2000م، ج1، صفحة 25) (العين و الخاء) (ب) الخُعْخُع: ضرب من النبت ، حكاه ابن دريد، قال: وليس بثَبْتٍ. " (ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، 1421هـ-2000م، ج1، صفحة 19) (العين و الثاء) (ج) - " قال ابن دريد: العُثُّ بغير هاء: دوابٌّ تقع في الصّوف، فدلّ على أنّ العُثَّ جمْعٌ. و قد يجوز أن يعني بالعُثِّ: الواحد، وعبّر عنه بالدوابّ، لأنه جنس معناه الجمع و إن كان لفظا واحدا، و سئل أعرابي عن ابنه فقال: أعطِيه كلّ يوم مالي دانِقًا، وإنه فيه أسرَعُ من العُثِّ في الصّوف في الصّيف. " (ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، 1421هـ-2000م، ج1، صفحة 41) (العين و القاف) (د) - و منه العَقِيقُ : وادٍ بالمدينة، كأنه عُقٌّ، أي شُقٌّ. " (ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، 1421هـ-2000م، ج1، صفحة 19) (العين و الضاد) (هـ) – و تَضَعْضَعَ الرّجل: ضَعُفَ و خَفَّ جسمه، من مرض أو حزن، و تَضَعْضَعَ ماله : قلّ . " (ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، 1421هـ-2000م، ج1، صفحة 29) (العين و النون) (و) - " و العَنَانُ : السّحاب ... وأعْنانُ السّماء: نواحيها ." (ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، 1421هـ-2000م، ج1، صفحة 49)

جمهرة اللغة
معكوس (جعع) (أ) - " و العُجَّة : ضرْبٌ من الطعام لا أدري ما حدُّها؟ " (ابن دريد، 1345هـ، ج1، صفحة 53) (خعخع) (ب) - " أُهْمِلَت إلاّ في قولهم : خُعْخُعْ : ضرب من النَّبت وليس بثَبْتٍ. " (ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، 1421هـ-2000م، ج1، صفحة 140) (ثعع) (ج) - "و العُثُّ: دوابٌ تقع في الصّوف ، و سُئل أعرابي عن ابنه فقال : أعْطيه في كلّ يوم من مالي سُدس الدرهم دانِقا و إنه لأسْرَعَ في مالي من العُثّ في الصّوف في الصّيف . " (ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، 1421هـ-2000م، ج1، صفحة 46) (عقق)

(د) - "و منه العَقِيق – الوادي المعروف بالمدينة." (ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، 1421هـ-2000م، ج1، صفحة 112)
(ضعضع)
(ه) - تَضَعْضَعَ الرّجل إذا ضَعُفَ و خَفَّ جسمه من مرض أو حزن، و كذلك : تَضَعْضَعَ ماله: إذا قلَّ . " (ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، 1421هـ-2000م، ج1، صفحة 156)
(عـــــــــــــنـــــــــــــن)
(و) - " و العَنَانُ : السّحاب ... و الأَعنان : النواحي في السّماء ." (ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، 1421هـ-2000م، ج1، صفحة 112)

رأى ابن سيده في تعريف ابن دريد " للعجّة " تعميما كبيرا لجهله لمدلولها، فعمد إلى تخصيص دلالتها وجلاء معناها، ثم قفى رأى ابن سيده في تعريف ابن دريد " للعجّة " تعميما كبيرا لجهله لمدلولها، فعمد إلى تخصيص دلالتها وجلاء معناها، ثم قفى بقول لابن دريد ناقلا عنه بأمانة كاملة، فأمكننا بذلك التفريق بين ما هو اجتهاد عند هذا و بين ما هو مسلّم به عند ذاك.

و قد بدأ ابن سيده في باب الثنائي المضاعف بالعين وما يتصل به من حروف فقاده تقصّيه إلى اتصال العين بالخاء، لم يعثر على هذين الحرفين في كلمة عربية ثنائية إلاّ في كلمة واحدة استقاها من الجمهرة وهي" الخُعْخُعْ " الدالة على " ضربٍ من النّبت "، فلم يجد في نفسه ما يجعله يعزف عن الأخذ بها، فعمد إلى إثباتها في محكمه بأمانة، محمّلا ابن دريد مسؤولية تحرياته عنها.

وفي المثال الثالث، لم يكتف ابن سيده بنقل لفظ " العُثّ " الدال على " دوابٌ تقعُ في الصّوف " من الجمهرة، إضافة إلى قولٍ لأحد الأعراب تضمّنَ ذكر اللفظ و مدلوله، بل زاد عليه بعض التأويلات الصرفية أمسك فيها بتلابيب صيغة " العُثّ " اللفظية ، فأرد لها جانبا من شرحه و تحليله.

كما حاول في المثال الرابع تعليل تسمية الوادي المعروف بالمدنية بـ " العَقِيقِ "دون أن يفرّق بين ما هو له و ما هو لابن دريد.

و في المثالين الخامس والسادس، ساق ابن سيده تعريفات نجدها موفورة في كتاب الجمهرة، فغمط بذلك حقا من حقوق ابن دريد اللغوية.

4-5- شرح السيرافي(ت 268هـ) على كتاب سيبويه :

لقد كان اعتماد ابن سيده على كتاب سيبويه من الأمور المألوفة في كتبه، لا سيما في تخريج بعض الظواهر النحوية و الصرفية، إلاّ أنّ الجدير بالذكر هنا الإشارة إلى كثرة الرواية اللغوية عنه من خلال شرح السيرافي لكتابه. فقد أكثر ابن سيده في محكمه من عبارة " مثّل به سيبويه، وفسّره السيرافي . " (ابن سيده المرسي، 1421هـ2000م، ج4، الصفحات 33-34) غير أنّ ابن سيده لم يقصر جهده على تتبع الألفاظ التي فات سيبويه تفسيرها فحسب، بل تعداها إلى جهود السيرافي الذاتية في تفسير الأبنية العربية وضبطها، وتوضيح معناها،

وبيان الأسماء منها و الصفات، وغير ذلك من الاهتمامات اللغوية التي احتاج إليها في شرح الكتاب، فعمد إلى النقل منه، والإحالة عليه، إلاّ فيما ندر، و لنا في بعض أبواب المحكم ما يوضح ذلك:

المحكم
(العين و الضاد) (أ) - " التَّعْضُوض: ضرْبٌ من التمر، واحدته : تَعْضُوضَةٌ. " (ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، 1421هـ-2000م، ج1، صفحة 29) العين و الكاف والسين مقلوبه (سكع) (ب) - "و رجُلٌ سُكَع : مُتَحيِّر ، مثّل به سيبويه، و فسّره السيرافي." (ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، 1421هـ-2000م، ج1، صفحة 157) العين و الكاف و الباء، و مقلوبه (بسكع) (ج) - "و وقعنا في بَعْكُوكَاء: أي غُبار وجَلَبَة ، و هي: " البَعْكُوك عن السيراف . " (ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، 1421هـ-2000م، ج1، صفحة 171) (شرح السيرافي على كتاب سيبويه) (أ) - " و التّعضُوضُ: ضربٌ من التَّمر ." (السيرافي، دت، صفحة 605) (ب) - " و سُكَع ضدّ الخُتَع، لأنّ الخُتَع هو المتحَيِّر الذي لا يهتدي لوجهة و لا يقصدها " (السيرافي، دت، صفحة 602) (ج) - " و البَعْكُوك : الرَّهج17 و الغبار ." (السيرافي، دت، صفحة 658)

يتضح لنا مما سبق أن ابن سيده قد نقل بعض ما جاء في شرح كتاب سيبويه نقلا أمنيا كاملا ، وإن تصرّف في عباراته، فغالبا ما يكون ذلك بحذف كلمة لا تخلّ بالمعنى، واستبدال أخرى بما يُضفي على المعنى ظلالا جديدة من ذلك حذفه كلمة: " الرّهج " التي تعني " الغُبار "، واستبدالها بكلمة ملازمة للغُبار في أغلب الأحيان وهي كلمة " الجَلَبَة "، أو بزيادة مفرد لجمْعٍ فات السيرافي ذكره فاقتضاه السّياق ، في نحو قوله: واحدته : تَعْضُوضَة أو تكثيف العبارة كما في المثال الثاني، أو بإضافة لفظ مرادف يبين فيه قوة تضلعه من اللغة، أو كون هذا اللفظ أدلّ من غيره ، كما يتّضحُ من المثال الثالث.

6-4 - الخصائص لابن جني (ت 292هـ) :

وجد ابن سيده في تضاعيف هذا الكتاب مادة لغوية ثرية، فاعتمده في تحقيق بعض الألفاظ و ضبطها، والوقوف على مدلولاتها، و تعليل بعض معطياتها، والإشارة إلى المجهول منها، وتوضيح الأصول والفروع منها فجاءت نقوله ومواطن إفادته منه على وجوه مختلفة، منها ما هو صريح النسبة لابن جني، و منها ما هو مصدّر بعبارة تشير إلى النقل، من قبيل قوله: " و قيل "، و منها ما صيغ بعبارة توهم القارئ بأن ذلك من جهد ابن سيده نفسه، و هو مما يؤخذ عليه، و قد عثرنا في المحكم على أمثلة من ذلك نمثّل لها بالنماذج التالية:

المحكم
(العين و الهاء و الميم) (أ) - قال ابن جنّي : أمَّا عُيَاهِم، فحاكيه صاحب العَيْن و هو مجهول." (ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، 1421هـ-2000م، ج1، صفحة 68) العين الجيم الشين (ب) - " الجُعْشُوشُ : .. .و قيل: هو منسوب إلى قَمْأَةٍ وصِغَر وقِلَّة، عن يعقوب: قال: و السّين: لغة. وقال ابن جني: الشّين بدل من السّين، لأنّ السين أعمّ تصرّفا، و ذلك لدخولها في الواحد والجمع جميعا، فضيق الشين مع سعة السين، يُؤذِن بأن الشّين بدل من السّين." (ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، 1421هـ-2000م، ج1، صفحة 173) العين والجيم و الميم مقلوبه (جمع). (ج) - والجُمُعَة، والجُمْعَة، والجُمَعَة: يوم العَرُوبَة، سمّي به، لاجتماع الناس فيه. وكان يقال لها العَرُوبَة. " (ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، 1421هـ-2000م، ج1، صفحة 212) العين و الضاد و الباء ، مقلوبه (ضبع) (د) – و الضَّبُعُ : السنة الشديدة المُجْدِبَة ،مؤنث، قال:[17] أبَا خُراشَةَ ، أمَّا أنتَ ذَا نَفَرٍ فإنَّ قوْمي لَمْ تَأْكُلُهُمُ الضَّبُعُ (ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، 1421هـ-2000م، ج1، صفحة 257)

يلاحظ القارئ ممّا سبق، أنّ ابن سيده ينقل عن أبن جني بأمانة كاملة أحيانا، ويغير على أقواله و تعريفاته في أحايين كثيرة. فقد أغار على جهده في تعريف كلمة " جُعْشُوش" وإن كان قد صدّرَ قوله بعبارةٍ تُشيرُ إلى النقل من غير أن يُعَيِّنَ مصدره، بل يقول " و قيل: هو منسوب إلى قَمْأة و صِغَر و قلَّة "، فدلّ بذلك على أنّ هذا التعريف لم يصادف هوى كبيراً في نفسه، ليُعيدَ بعد ذلك لابن جنّي اعتباره في مناقشة مسألة إبدالية أرادَ إثارتها ليجعلَ منها منطلقا للردّ على ابن السكيت، و تفنيدِ زعمه من أنّ السين في " جُعْسُوس " لغة، فوضّح بذلك تصرّف ابن سيده في عبارة الخصائص الأصلي .

وفي سائر الأمثلة، نرى ابن سيده يسوقُ أوزانا مختلفة لمعنى واحد، لا نجد لها صدى في الخصائص، يضاف إلى زيادة معلومتين جديدتين هما لفظا: " المُجْدِبَةِ "، و "مؤنث"، فأمكن بأولاهما تخفيض دلالة " الضَّبُع "وأمكن بثانيتهما تحديد نوعها.

خاتمة :

إنّ ما عوّلنا عليه من كتب في موازناتنا السابقة، ما هو إلا غيض من فيض المصادر التي اعتمدها ابن سيده في محكمه. و رأينا كيف أنه عمد إلى نشر بعضها في كتبه و أبوابه المختلفة دون أن يفاضل بينها، في الغالب، إلاّ من حيث إسهام هذا المصنف أو ذاك في إضافة معلومات جديدة تتلاءم مع الطّرق التي اتبعها في موسوعاته، ناسبا قدرًا غير يسير من النصوص و الشروح إلى أصحابها، الأمر الذي يجعلنا نشيد بما التزم به من منهج علمي أمين، و إن كان في عدم التزامه بنسبة بعضها الآخر ما يدفعنا إلى الانتقاص من مقدار من مقدار التزامه بذلك المنهج. و قد رأيناه بنقل بعض النصوص والألفاظ و الشروح بحذافيرها،

وتناول بعضها الآخر بالتقديم و التأخير، و بالتخليص، و تغيير العبارة ، وبعض الإضافة و المناقشة و التعليق. كما له فضل استنتاج بعض الأبواب و الشروح التي قلّما نجد لها صدى في تلك المصادر، وإخراج بعضها الآخر إخراجا آخر يسهّل معرفته، ويشير إلى مواضع استخداماتها، فأتى الاختلاف بين محكمه ابن سيده و مصادره فيه من التباين بحيث يستحيل أن يعزى هذا الاختلاف إلى مجرّد اختلاف ما اعتمد عليه ابن سيده من النسخ.

لهذا و ذاك، رأينا ابن سيده يتخذ من ثقافته الموسوعية وسيلة علميّة، استطاع من خلالها أن ينفذ إلى معارف شتى، محدّدا بذلك مستويات الاستخدام اللغوي وفق مقياسي اللغة والعلوم المختلفة.

التعليقات:

1- و يقصد بها تلك المعاجم التي تعالج اللّفظة: تضبطها، و تبيّن أصلها و مشتقاتها، و تشرح مدلولها، و تتّخذ لها منهجاً خاصاً في ترتيب الألفاظ معتمداً على الترتيب الهجائي أيّاً كان لون ذلك الترتيب و مداره، سواء أتى حسب نظام مخارج الحروف، كما صنع الخليل ومن لفّ لفّه ، أو سار حسب الأبجدية في ترتيبها المألوف، كما نجد في معاجم من سار على غير طريقة الخليل. (عبد السميع، 1393هـ/1973م، صفحة 18)

2 -يرى بعض المحدثين أنّ أوّل من حمل لواء المعجم العربي ممارسة هو عبد الله بن عبّاس (ت68هـ) ، رضي الله عنه، و سار على نهجه أبو سعيد أبان بن تغلب بن رباح البكري (ت141هـ) (كشلي، 1982، الصفحات 12-13)؛ لأنّهما كانا يتولّيان الردّ على أسئلة من كان يسأل عن بعض معاني القرآن الكريم وعن بعض معاني المفردات اللغوية الواردة فيه، مستعينين بالشعر الجاهلي وفصحاء العرب والمشهورين بسلامة اللغة من الأعراب (آل حسين، 1980، صفحة 83) و (السيوطي، دت، ج1، صفحة 404)

3 -و هذا الترتيب يختلف عن ترتيب سيبويه الذي جعل للحروف ستة عشر مخرجاً . (سيبويه، دت، ج4، صفحة 433)

4 -بقيت منه قطعتان طبعتا مجموعتين في مجلّد واحد حققه هاشم طعان و طبع تحقيقه في بيروت سنة 1975م . ينظر: (الشرفاوي، 1407هـ/1987، صفحة 199)

5 -طبع تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري بمصر في خمسة عشر جزءاً بين سنوات 1964م- 1967م بتحقيق جماعة من الأساتذة توزّعوا العمل فيه . ينظر: (الشرفاوي، 1407هـ/1987، صفحة 200) ثم صدر بتحقيق عبد السلام محمد هارون عن الدار المصرية للتأليف والترجمة بالقاهرة ،دت، وهو المعوّل عليه في بحثنا هذا.

6 -طبعت منه بعض الأجزاء في العراق بتحقيق محمد حسين آل ياسين. ينظر: (آل حسين، 1980، الصفحات 200-201)

7 – سار ابن سيده في المحكم والمحيط الأعظم في اللغة على ترتيب الخليل ،فرتّب ألفاظ اللغة العربية في صورة معجم للألفاظ ،و قسّمها تبعاً لمخارجها الصوتية،وصنّفها وفق حروفها الأصلية التي تتألّف منها و وفق ما يتفرّع عنها من مقلوبات في أبواب هي: الثنائي المضاعف الصحيح، و الثلاثي الصحيح، و الثنائي المضاعف المعتل، و الثلاثي المعتل، و الثلاثي اللفيف، و الرباعي، فالخماسي. وزاد على ذلك باباً لا يذكره إلاّ نادراً دعاه" السداسي" ضمّ ألفاظاً أعجمية. ينظر على سبيل المثال: (اين سيده المرسي، 1421هـ2000م، ج4، صفحة 355) و هذا مذهب لا يوافقه فيه الصّرفيون، إذ يعدّون الخماسي أقصى ما ينتهي إليه بناء الكلمة العربية في عِدَّة أصولها المجرَدة. و يبدو أنّ ابن سيده قد أخذ منهج الخليل بعدما أدخله أبو بكر الزبيدي (ت 379هـ) عليه من إصلاح مختصره، و سار عليه دون أدنى تغيير. ينظر في هذا الصدد: (نصار، 1968، الصفحات 220-373)

8 – هذا الأمر لا يوافق الصرفيون فيه ابن سيده، إذ يذهبون إلى أنه لا توجد ألفاظ فارسية سداسية الأصل، و أن الألفاظ الأعجمية لا يصحّ وزنها، لأنّ الوزن خاصّ بالعربية . (ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، 1421هـ–2000م، ج1، صفحة 5).

9 - وهذا الترتيب هو : ع- ح- هـ - خ غ- ق- ك –ج- ش –ض- ص –س- ز –ط- –د –ت –ظ ذ- ث- ر- ل- ن- ف –ب- م- و- ـا –ي . وهذا النظام يرجع في الأساس إلى النظام الذي بنى عليه الخليل بن أحمد الفراهيدي كتابه (العين) . ويبدو أن ابن سيده قد أخذ منهج الخيل بن بعدما أدخله أبو بكر الزبيدي عليه من إصلاح في مختصره، وسار عليه دون أدنى تغيير، ينظر في هذا الصدد: (نصار، 1968، صفحة 320،373). و (رودريجث، 1980، صفحة 80، 105)

10 -فقد سرد ابن سيده في محكمه تفاصيل المذاكرة التي جرت بين ابن جني وأساتذه أبي على الفارسي حول كتاب العين، فأساء أبو على نشاه . ويبدو أن ابن سيده قد اقتفى أثر الرجلين في عدم الاعتداء بهذا

المصنف ومن عدم القطع بنسبته إلى الخيل، ينظر: (ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، 1421هـ-2000م، ج1، الصفحات -_)و (ابن جني، دت، ج3، صفحة 197)

11 -البيت من بحر الكامل، الضرب الثالث فيه مجزوء بعد دخول التذييل. و التذييل : تقدم في البحر البسيط(متفاعل تصير متفاعلن).

12- أديمُ الأرض: وجهها (من التراب).

13- بحر الكامل

14- الأُدْمُ: جمع آدم. و يقال الأدمة من الإبل : البياض . أَدَمُ الطعام، و الأُدْمُ : ما يُؤكلُ بالخبز أيّ شيء كاسر . (ربما قصد الإدام).

15- و لمصدر البيت رواية أخرى أخل بها مجموع شعره و أوردها الخطيب التبريزي(ت 502 هـ) ،بقوله و هي: شهدتُ ولم يشهَد وقلتُ ولم يقُل و مارستُ حتى يعْصِب الرّيقُ بالفَمِ . (التبريزي، 1984، صفحة 122)

16 بحر الطويل

17- الرّهج : الغُبار : السحاب الرقيق كأنه غبار _ خشية الترادف).

18- بحرالبسيط

قائمة المصادر والمراجع :

القرآن الكريم.
ابن الأثير, أبو السعادات. (دت)، النهاية في غريب الحديث و الأثر. ج4. تحقيق: الطناحي , محمود محمد . دار إحياء الكتب العربية د. بلد .
ابن السكيت, أبو يعثوب .(1956) .إصلاح المنطق .مصر: دار المعارف.
ابن دريد, أبو بكر. (1345) . جمهرة اللغة . ج1. حيدر: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية.
ابن سيده المرسي, أبو الحسن. (1317–1321هـ). المخصص. ج13. القاهرة: المطبعة الأميرية.
ابن فارس. (1414هـ/1993م). مقاييس اللغة (المجلد 1). (عمر فاروق الطباع، المحقق) بيروت، مكتبة المعارف.
ابن منظور(1414هـ/1994م)، لسان العرب ج12. بيروت: دار صادر.
أبو الحسن ابن سيده المرسي. (1321-1317هـ). المخصص (المجلد 1). القاهرة: المطبعة الأميرية البولاق.
أبو الحسن ابن سيده المرسي. (1421هـ–2000م). المحكم والمحيط الأعظم (المجلد 1). (عبد الحميد هنداوي، االمحقق) بيروت: دار الكتب العلمية.
أبو الحسن اين سيده المرسي. (1421هـ2000م). المحكم والمحيط الأعظم. (المجلد 4). بيروت: شركة مطبعة ومكتبة بابي الحلبي.
أبو الفتح ابن جني. (دت). الخصائص (المجلد 3). (محمد علي النجار، المحقق) بيروت: دار الهدى للطباعة والنشر.
أحمد إقبال الشرفاوي. (1407هـ/1987). معاجم المعاجم، تعريف بنحو ألف ونصف ألف من المعاجم العربيّة التراثية. بيروت: دار الفكر الإسلامي.
آل حسين, محمد حسن .(1980) .الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث .بيروت: مكتبة الحياة.
الخطيب التبريزي. (1984). تهذيب إصلاح المنطق. (فخر الدين قباوة، المحقق) بيروت: منشورات دار الآفاق الجديدة.
الخليل بن أحمد الفراهيدي. (1967). العين (المجلد 1). (إبراهيم السمرائي، و مهدي المخزومي، المحققون) بغداد: مطبعة العاني.
السيرافي, أبو سعيد. (دت). شرح السّيرافي على كتاب سيبويه ضمن: السيرافي النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه .
أمجد الطرابلسي. (1373 ه-1953م). نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب في اللغة و الأدب. دمشق.
بن مرداس, ع .(1968) .الديوان.. (الجبوري، المحقق). بغداد.
ثغلب, أبو العباس.(دت). مجالس ثعلب. ج1. (عبد السلام. هارون، المحقق). مصر: دار المعارف.
جابر ابن عصفور. (1432هـ/2011م). الممتع في التصريف. (أحمحد عزو عناية، و علي محمد مصطفى، المحققون) بيروت: ذدار إحياء التراث.
جلال الدين السيوطي. (دت). بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. ج1 /(محمد إبراهيم أبو الفضل، المترجمون) بيروت: المكتبة العصرية.
حكمت كشلي. (1982). المعجم العربي في لبنان من مطلع القرن التاسع عشر حتى عام1950م. (دراسة-وتحليل-ونقد). دار ابن خلدون.
ديوان الهذليين (المجلد 1). (1965). القاهرة: دار القومية للطباعة والنشر.
رودريجث, داريو كابابيلاس .(1980) .ابن سيده المرسي حياته وآثاره . (حسن. الوراكلي, المترجم). تونس: الدار التونسية.

سيبويه. (دت). أبو عمرو. ج4. بيروت: عالم الكتب.
عطوان, حسين. (دت) .شعر عمرو بن أحمد الباهلي .دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية.
محمد أحمد عبد السميع. (1393هـ/1973م). المعاجم العربية دراسة تحليلية. /: دار الفكر العربي.
نصار, ح .(1968) .المعجم العربي نشأته وتطوره .القاهرة: مكتبة مصر.